العقل من التصورات والتصديقات اليقينية وغير اليقينية الحادث اي
المخلوق في الملائكة والانس والجن بخلاف علم الله عز وجل فانه صفة من صفات
ذاته فلا يستند لحس ولا خبر ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ثلاثة
لا رابع لها بالاستقراء الحواس جمع حاسة وهي القوة التي اودعها الله في
العبد يدرك بها الاشيا وتسمى المشاعر السليمة اي السالمة مما يمنع الادراك
بها خرج ما ليس سليما كعين الاعمى واذن الاصم والخبر الصادق وهو
المطابق للواقع اما الخبر الكاذب فلا يصح ان يجعل مدركا للعلم اذ لا يدرك
به الشيء على ما هو عليه في الواقع ونظر العقل اي الفكر المودي الى علم
او ظن او اعتقاد ووجه الحصر في الثلاثة المذكورة ان السبب للعلم لا يخلو
اما ان يكون وصفا قائما بالمدرك بكسر الرا اولا الثاني الخبر والاول اما ان
يكون كيفية جسمية فهو الحواس او قوة نفسية فهو النظر ومما يدل على
الانحصار فيها قوله تعالى ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه
مسئولا اما الحواس فهي الخمسة المعهودة التي لم يعرف لها سادس اي لا
يعني انها لا يكون الا خمسا اذ يجوز عقلا وجود حاسة اخرى بل حواس كثيرة ففي
الحديث والذي نفسي بيده اني لاراكم من وراء ظهري واشتهر ان الشيخ الولي الكبير ابا الغيث
ابن جميل والشيخ اسمعيل بن محمد الحضرمي كان لكل منهما اربع عيون كرامة الظاهرة
اي باعتبار محالها المعلومة من فن الاصول وغيره وهي السمع والبصر
والذوق والشم واللمس والاصح ان السمع افضل اي انفع من البصر لان
فوات خلقه يستلزم فوات النطق الذي هو اظهر حواس الانسان الا في
الاخرة فان البصر اشرف وانفع واحترز بالظاهرة عن الباطنة وهي خمس
ايضا الحس المشترك والخيال والقوة الوهمية والقوة الحافظة والقوة المتخيلة
وتسمى المفكرة وقد اختلف الحكما في مواضع هذه الخمس الباطنة فلم يحصلوا على
طائل ووقعوا في حيص بيص والمحققون على انها صفات للعقل لا غيره
وبكل حاسة منها اي الحواس الظاهرة وكذا الباطنة يعلم ما يختص به
لان الله تعالى قد خلق كل حاسة منها لادراك اشيا مخصوصة لا يدرك بكل
واحدة منها ما يدرك بالحاسة الاخرى واما انه هل يجوز ذلك عقلا ففيه خلاف
والحق الجواز لان ذلك محض خلق الله من غير تاثير للحواس فلا يمتنع ان
يخلق عقب صرف الباصرة ادراك الاصوات مثلا فان قيل اليست الذائقة تدرك
حلاوة الشيء وحرارته معا قلنا لا بل الحلاوة تدرك بالذوق والحرارة تدرك
باللمس الموجود في الفم واللسان اذا تقرر هذا فبالسمع تدرك الاصوات
بطريق وصول الهوى المتكيف بكيفية الصوت الى الصماخ وبالبصر تدرك الاضوا
والالوان والاشكال وغير ذلك مما يخلق الله ادراكها في النفس عند

فتح العين

١١

فتح العين وبالذوق تدرك الطعوم بواسطة مخالطة الرطوبة اللعابية وبالشم تدرك
الروائح قيل وهذه القوة في غير الانسان اقوى منها فيه لان البهائم تعرف اولا دها
بالريح من غيرهم والسباع تدرك ما جعل الله لها فيه متاعا بالريح من مكان
بعيد وباللمس تدرك الحرارة والبرودة ونحو ذلك وهذه القوة للحيوان ضرورية
لا يتم بدونها فهي ضرورية نعم من الاعضا ما ليس فيه قوة لامسة
كالكبد والكلية والطحال والرية فلا حس في شيء من هذه الاعضا بل في
اغشيتها ليدرك بها ما يعرض لها من الافات وكذلك العظم ليس فيه قوة لامسة
لانه اساس البدن وعمدته فلو كان له حس لتاذى بالحمل وبالحس المشترك
تدرك صور المحسوسات وبه تشاهد الصور المنامية كما في اليقظة اذ ليس ذلك
بالحواس الظاهرة لتعطلها بالنوم وبالخيال تدرك المحسوسات في حال غيبتها
عن الحواس فهو كالخزانة ولولا هذه القوة لامتنع معرفة من يرى في زمان ثم
يغيب وتوجد هذه القوة في غير الانسان من الحيوان ولذلك مهر الفرس
الشعير لادراكه صحته وبالقوة الوهمية تدرك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات
كادراك الشاة العداوة في الذيب والمحبة في ولدها فلهذا تهرب من الاول
وتعطف على الثاني وبالقوة الحافظة تحفظ المعاني التي تدركها القوة الوهمية
وبالقوة المتخيلة يتصرف العقل في الصور المحسوسة والمعاني الجزئية بالتركيب
تارة والتفصيل اخرى واما الخبر الصادق وهو ما يكون لنسبته خارج تطابقه
تلك النسبة فان لم تطابقه فهو الكاذب ولا واسطة بينهما فان قلت الخبر
الصادق مما يدرك بالسمع فلا يعد سببا للعلم قلنا المدرك بالسمع انما هو الالفا
ظ والخبر ليس سببا لادراكها بل للعلم بمدلولها فنوعان تثنية نوع وهو كلي
مقول على واحد وعلى كثيرين متفقين بالحقايق في جواب ما هو النوع الاول
الخبر المتواتر سمي بذلك لانه لا يقع دفعة واحدة بل على التعاقب والتوالي فهو من تواتر
الشيء اذا تتابع ووقع شيئا بعد شيء وهو في الاصطلاح ما سمع من قوم عقلا
فوق اربعة خمسة فاكثر ولو كفارا لا يتوهم بضم اليا اي لا يجوز عقلا تواطيهم اي
توافقهم على الكذب بمعنى ان العقل حاكم بامتناع توافقهم على الكذب لكن لا
لذاته بل لما قام عنده من العادة الشاهدة باستحالة ذلك في الخبر المتواتر فمناط
عدم التجويز كثرة القوم فما تخلفت افادة العلم عنه فليس بمتواتر ودليل صدق
التواتر حصول العلم لسامعه من غير شبهة فما تخلفت افادة العلم عنه فليس بمتواتر
ثم ان اتفق خبرهم لفظا ومعنى فهو المتواتر اللفظي وان اختلف فيهما مع
وجود معنى كلي فهو المتواتر المعنوي كما اذا اخبر واحد عن حاتم انه اعطى
دينارا واخر انه اعطى فرسا واخر انه اعطى بعيرا فقد اتفقوا على امر كلي وهو

Copyright King Saud University